إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الحادية عشرة ـ العدد الرابع والأربعون ـ شتاء ١٤٠٠ش/كانون الأول ٢٠٢١م
20.1001.1.22516573.2022.11.44.5.2
صص ١١٥ ـ ٩٧

صور السّخرية الكاريكاتيرية عند أبى دلامة

مريم رعنايى‌پور*
عنايت‌اله فاتحى‌نژاد(الكاتبة المسؤولة)**

الملخص

إنّ الصور البصرية لها قيمة كبيرة فى المشـاهد الشـعرية. الصورة الكاريكاتيرية هى صورة بصرية تسـتهدف نقد المجتمع عبر تشـويه للصورة الموجودة للواقع وتضخيم عيوبه لكى تهاجم بطريقة غير مباشرة على الواقع الذى غير قادر على تلبية متطلبات المجتمع واحتياجاته. لهذا، يعدّ الكاريكاتير من أهمّ وسائل التعبير وأكثرها قوة على التأثير والنفاذ فى ذهن المتلّقى. وبما أنّ الصور الكاريكاتيرية تبطن عادةً السـخرية المريرة اللاذعة، كانت نتيجة هذا المزج المتشابک لوناً بديعاً فى الشعر يسمّى السّخرية الكاريكاتيرية. فالسّـخرية الكاريكاتيرية هى نسج فنى مبتكر يجمع الجدّ والفكاهة بطريقـةٍ بارعةٍ حيث يختلط الجدّ والفكاهة اختلاطاً يزيل الفواصل بينهما هادفةً إلى دفع النّاس ليصيبوا كبد الحقيقة عبر تصوير إعوجاج الحياة وتضخيمه. فهذا اللون من البيان، يفرض صوراً جديدة بارعة فى البنية الشـعرية تتضاعف حاجتنا الماسّة إلى دراسته. وبما أنّ أبا دلامة، الشاعر العبّاسى الشهير، مشهور فى المحافل بشاعر السخرية الكاريكاتيريـة، فهذه الدراسـة، معتمدة على المنهـج الوصفى-التحليلى فى عرض المادة ونقدها، تهدف إلى إبراز صور السّـخرية الكاريكاتيرية، من خلال أشعار أبى دلامة. وأخيراً وصل البحث إلى أنّ السخرية الكاريكاتيرية تشكّل خصوصية متفردة لأشـعار أبى دلامة. فأصبح هذا النمط، فى شـعره، إلى جانب الفكاهة والظرف، آليةً دفاعيةً يستغلّها الشاعر لمواجهة النقائض الاجتماعية الموجودة فى المجتمع ومحاربة اعواجها ومكافحة سـلبياتها حتّى ولو تجاوز الخطـوط الحمراء فى بعض الأحيان.

الكلمات الدليلية: السّخرية الكاريكاتيرية، أبودلامة، الشعر العباسى.

---

*. دكتوراه فى اللغة العربية وآدابها، فرع طهران مركزى، **جامعة آزاد الإسلامية**، طهران، إيران
Maryamr6486@gmail.com
. أستاذ مشارک فى اللغة العربية وآدابها، فرع طهران مركزى، **جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران
fatehieenayat@ymail.com

تاريخ الاستلام: ١٤٤٢/٠٦/٢٣ق **تاريخ القبول:** ١٤٤٣/٠٥/٢١ق

المقدمة

الشـعر جنس من التصوير وهو شبيه بالرسـم، والشاعر كالرسام يقدّم المعنى تقديماً حسـياً، عن طريق المشـاهد التى يرسمها علـى اللوحة ليتلقاها المشـاهد تلقياً بصرياً مباشـراً. و«تسـتعمل كلمة الصورة للدلالة على كلّ ما له صلة بالتعبير الحسى، وتطلق أحياناً مرادفة للاسـتعمال الاسـتعارى للكلمات.» (مصـاروه، ٢٠٠٨م: ٤) فالصورة هى إبداع ذهنى ونسـيج متميز للشـاعر. فهى، فى الواقع، جوهر الشـعر وأهمّ وسائط الشـاعر فى نقل عواطفه ومشاعره إلى القارئ بصورة أكثر اتضاحاً. لقد نالت الصورة الشـعرية عناية فائقة فى الشـعر منذ قديم الأزمان. الصورة الشعرية هى جوهر الشعر وركنه الأساس وهى وسيلة الشاعر الرئيسة للتعبير عمّا يختلج فى داخله، بحيث يقاس نجاح الشـاعر بمدى قدرته على تشـييد الصورة الشـعرية ودقة معانيها، ولطافة تخيلها وملاحة ديباجتها. و«من أهمّ أسـباب نجـاح الصورة فى تأديتها لوظيفتها، اشـتمالها على الدّفق العاطفى، الذى يمنحها حركة وإحساسـاً نابعين من الاندماج والتوحيد بين الشـكل والمضمون.» (دريباتى، ٢٠١٦م: ٨٠-٨١) السـخرية هى لـون أدبى له أهمية كبـيرة فى خلق الصورة الشـعرية. فقد زخر الآداب، وخاصـة الأدب العربى، بألوان السـخرية والفكاهـة. والمراد من السـخرية هو «نوع من التأليـف الأدبى أو الخطاب الثقافـى، الذى يقوم على أسـاس الانتقاد للرذائل والحماقات والنقائص الإنسـانية، الفردية منها والجمعية. فالساخر يرصد ويراقب ما يجرى من أخطاء، ويستخدم وسائل وأسـاليب خاصة فى التهكّم عليها، أو التقليل مـن قدرها، أو جعلها مثيرة للضحك.» (الضمـور، ٢٠١٠م: ١٦) إنّ الصـورة الكاريكاتيرية هى فنٌ لـه ارتباط وثيق وعلاقة وشـيجة بالسـخرية، بحيث يعُدُه بعض النقاد وجهاً آخر للهجاء الساخر. فالكاريكاتير هو فن الإضحاك بالتضخيم بهدف الانتقاد والسخرية. إنّها فنٌ صعبٌ لا يبرع فيه سوى الأكفاء من الشـعراء القادرين على خلق الرسوم بشكل مناسب. ومنذ انتشر دوى هذا النوع من البيان؛ لقد أثّر هذا الأسـلوب على الصور الشـعرية، وتلاقى الإقبالُ المتزايد عليها منذ انتشارها وأصبح أسلوباً تعبيرياً حديثاً لكثير من الشعراء فى إنشاد أشعارهم وخاصة فى العصر العبّاسـى. و«حتّى الهجاء تغير لونـه فى هذا العصر، وعُرف الهجاء

الكاريكاتورى الممسوخ، وحمل فى طياته معانى التحقير والتصغير والسخرية المريرة،» (مــروة، ١٩٩٠م: ٤٢) لأنّ كلّ صور كاريكاتيرية تنطوى بالضرورة على الهجاء. وعلى أيــة حالة، فإنّ الصور الكاريكاتيرية فهى قويــة التأثير فى القارئ بما تحمله من رموز وإيحــاءات. إنّ أبا دلامة مشــهور فى المحافل بشــاعر الســخرية الكاريكاتيرية، فهذه الدراســة تهدف إلى إظهار صور السّــخرية الكاريكاتيرية، من خلال أشعار الشاعر، وتبيين مكانتها وإبراز فنيتها.

خلفية البحث

وفى ســياق هذه الدراسة الرامية إلى صور السّخرية الكاريكاتيرية عند أبى دلامة، فقد سبقتها دراساتٌ عن موضوع الصور الكاريكاتيرية، وجمعت بين النظرية والتطبيق،. وهناك دراسات تمّت بصلة للموضوع من أحد جوانب، نذكر منها:

ليلا جمشــيدى (١٣٩١ش)، الهجاء الكاريكاتورى فى شــعر أعلام شــعراء العصر العباســى (مثل: بشار، دعبل، أبى نواس، ابن الرومى، المتنبى، جامعة أصفهان. فالكاتبة تعتقد أنّنا نجد فى هجاء العصر العباسى لوناً تصويرياً ساخراً يكاد يختلف اختلافاً تاماً عن صوره الكلاســيكيه و معانيه المرذوله و يطلب دراســه واعيه مستقله؛ حيث يشتمل على كثير من عناصر فن الكاريكاتور أو الرسم الساخر، و يكون قادراً على استبطان دوافع الشاعر ومشاعره بشكل مهذب ولطيف، ويستهدف التعبير والتعليق على الآراء و الأفكار والأحداث فى شتى المجالات بطريقه ساخره يعمد فيها الشاعر إلى نقد الواقع بشــىء من الطرافه والمبالغه. فقد أخذ هذا اللون من الهجاء مكانه فى الأدب العباسى وفرض نفســه كبديل أصيل لما نعرفه اليوم بفن الكاريكاتور أو الرســم الســاخر ولهذا استوجب الرغبه فى اختيار تسميته بالهجاء الكاريكاتورى.

عزة محمّد رشــاد على سرج (٢٠٢٠م) فن الصورة الكاريكاتيرية فى الأدب العربى حتــى نهاية القــرن الرابع الهجرى، مجلة البحث العلمى فــى الآداب. الكاتب يعتقد أنّ طبيعة العصر العباســى ألقــت بظلالها على أصحــاب الصور الكاريكاتيريــة اللفظية، فكانوا أصحاب صنعة شــعرية جافت التعقيد، ومالت إلى الوضوح والبساطة، وكرهت

الألفاظ الغريبة المعقدة، كما تعدّدت وتنوّعت الأساليب التى ساعدت على رسم الصور الكاريكاتيرية الضاحكة والكشف منها بوضوح ومنها الأسلوب الساخر.

ليلا جمشيدى و عبدالغنى ايروانى زاده (١٣٩٣ش) الهجاء الكاريكاتورى فى شعر دعبل الخزاعى، فصلية السان المبين. يعتبر الباحثان الهجاء الكاريكاتورى فى شعر دعبل بنية متكاملة الشكل والمحتوى، استخدمه الشاعر كأسلحة لمواجهة الضغوط التى تهدده وللتعبير عما يعتريه من المشاكل والهموم، معتمداً على القيم الجمالية والخيالية فى فن الكاريكاتور كالمبالغة والسخرية.

فقد اختارت الدراسة شعر أبى دلامة كعينة قصدية للبحث لأنّ الشاعر مشهور فى الأوساط الأدبية بالسخرية وإنّ المتأمّل فى أشعار الشاعر يلمس الحضور الفاعل للصور الكاريكاتيرية ووظائفها، ويدرک أهمّيتها فى تشكيل بنية الشعر فى ديوان أبى دلامة. والهدف الرئيس من هذا البحث هو دراسة صور السّخرية الكاريكاتيرية عند أبى دلامة، لهذا، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفى-التحليلى الذى يكون أنسبَ المناهج التى تتلاؤم مع طبيعة وأهداف البحث.

أسئلة البحث

إنّ محور هذه الدراسة هو محاولة الإجابة عن أهمّ التساؤلات فى صور السّخرية الكاريكاتيرية فى أشعار أبى دلامة. فهناک أسئلة متعدّدة تفرض نفسها فى هذا السياق، منها:

١. ما هى صور السّخرية الكاريكاتيرية عند أبى دلامة؟
٢. لماذا لجأ الشاعر إلى الصورة الكاريكاتيرية؟
٣. كيف يتمّ توظيف الصور الكاريكاتيرية فى أشعار أبى دلامة؟

فرضيات البحث

١. يمكن تقسيم صور السخرية الكاريكاتيرية فى شعر أبى دلامة، إلى ثلاثة أقسام: السّخرية الكاريكاتيرية من النفس، السّخرية الكاريكاتيرية من أفراد العائلة والسّخرية الكاريكاتيرية من الأشخاص الآخرين.

٢. أصبحت، السخرية الكاريكاتيرية فى أشعار أبى دلامة، إلى جانب الفكاهة والظرف، آليةً دفاعيةً يستغلّها الشاعر لمواجهة النقائض الاجتماعية الموجودة فى المجتمع ومحاربة اعواجها.
٣. أبو دلامة حاول أن يخلق صوراً كاريكاتيرية بديعة بمساعدة إطالة بعض أجزاء الصورة وتضخيمها فى بعض الأحيان.

الصورة الكاريكاتيرية ووظائفها

فى أهمية الصورة فى تشكيل البنية الشعرية يمكننا أن نقول إنّه «تؤدّى العين بطاقاتها البصرية دوراً بالغ الأهمية فى تحريض الحواس الأخرى وتفعيلها، إذ تتوافر على طاقة فعالة من الإثارة والجاذبية بحيث لا يتوقف أداؤها عند حدود مسح المناظر التى تعترض العين، بل يمتدّ نشاطها إلى التقاط إيقاع الصور على مساحة اللوحة، وإيقاع الكلمات على المساحات الخيالية للورقة، على النحو الذى يعكس حاسية خاصة تنتجها كثافة التعبير القرائى البصرى الذى تمارسه العين.» (النورج، ٢٠١٥م: ١٥٧) وقبل التطرّق إلى رصد المفاهيم المختلفة التى تعرضت للهجاء الكاريكاتيرى فى ديوان أبى دلامة، فإنّنا نشير إلى تعريف مصطلح الكاريكاتير. إنّ الكاريكاتير كلمة معرّبة عن أصل إيطالى وهو «فن ساخر من فنون الرسم، وهو صورة تبالغ فى إظهار تحريف الملامح الطبيعية أو خصائص ومُميزات شخص أو جسمٍ ما، بهدف السخرية اأو النقد الاجتماعى والسياسى.» (العجلانى، ٢٠١٣م: ١) وأيضاً جاء تعريفٌ آخر يرى بأنّه «الكاريكاتير فن ساخر، ناقد لوضع اجتماعى أو سياسى، وهو تحريف لمظهر عن أساسه وخصائصه مع فكرة تعتمد على سرعة البديهة والذكاء فى الوصف التصورى، مع نظرة سخرية.» (آل زائد، ٢٠١٢م: ١٨) فالتصوير الكاريكاتيرى «هو وضع الشخص فى صور مضحكة، كالمبالغة فى وصف عضو من أعضائه، ومحاولة تشويهه، بالتهكّم من ضخامة جسمه أو نحافته، أو قصر القامة أو طولها، وملامح الوجه كالأنف، والفم، وغيرها.» (الضمور، ٢٠١٠م: ٦٧) فهو فنّ ساخر وصورة خيالية مشوهة مبالَغ فيها إلى أقصى الحدود خارجٌ عن حدود إطار النسق الهندسى النمطى المألوف و«رسالة من الفنّان المتلّقى

فی سـياق مشترک قائم علی بنية الواقع الذی يعيشانه معاً.» (عبدالتواب، ٢٠١٨م: ٩)

ويأتـی من وظائف الصورة الكاريكاتـيرية أنّها تعتنـی فی المقام الأول بطـرح الكثير من القضايا والـمشكلات الاجتماعية التی يعانی منها أبناء المجتمع فی مـختلف جوانـب الحيـاة ومعالجتهـا. وفی المقام الثانـی، الصورة الكاريكاتيرية هی «قادرة بشـكل فعّال علی ترفيه القارئ وتسليته، لاسيما فی المسائل الاجتماعية والسياسية.» (الطوبـجـی، ١٩٨٧م: ١٠٦) وربّمـا لا نبالغ ولا نخرج عن جادة الصـواب إذ قلنا إنّ السـخرية وطدّت لدی أبی دلامة فنّاً بديعاً، هو الهجاء الكاريكاتوری، الذی للشـاعر باع طويل فيه.

أبو دلامة وفن السّخرية الكاريكاتيرية

هو أبو دلامة زَنْد بن الجَون، اشـُتهرَ باسم أبی دلامة نسبةً إلی اسم ابنته التی كانت تُدعی: دلامة فكُنِّی بها. يمتّ بنسـبه إلی بنی أسـد، ولد وترعرع فی الكوفة، فی أواخر القرن الهجری الأوّل، أو أوائل القرن الهجری الثانی. ونشـأ أبو دلامة فی عائلة وضيعة فقيرة، وقد نصت بعض مصادر ترجمته علی أنه لم يكن له فی أيام بنی أمية نباهة، ولكنه نبـغ فی أيام بنی العباس، فانقطع إلی السـقاح، والمنصور، والمهـدی، وكانوا يقدمونه، ويفضّلونه، ويسـتطيبون نوادره، وانقطع أيضاً إلی روح بن حاتم المهلّبی فی بعض أيامه. بحيـث «لا يذكَر ظرفاء العـرب إلا وأبو دلامة فی مقدمتهم، وهـو عند بعضهم "أظرف الظرفاء"، ولا يختار باحث مجموعة من النوادر التراثية الظريفة دون أن يجعل فيها بعضاً من نوادر أبی دلامة، ولا يجمع كاتب أشـعاراً فی الدعابة المستملّحة، والهجاء الظريف، وخاصّة فی هجاء الذات والأقرباء إلّا و يجعل فيها شيئاً من شعره.» (أبودلامة، ١٩٩٤م: ٧) وإنّه «تطالعنا الفكاهة والسـخرية المبثوثة فی ثنايا ديوانه وشظايا أخباره المتناثرة عن حصيلة من التجاوزات المنفلتة، تعرض الشاعر أبا دلامة فی صورة الساخر المتذمر المسـتهتر، الذی كبلتـه قيود الصلاة، وأرهقته أثقال الصوم، وحاصرته مشـقة الحج فی لوحـات تشـع بألوان من المرح والتی غالباً ما تختم بالضحـک الممزوج بالرضا عنه.» (هـلال، ٢٠١٨م: ١١٥) فإنّ أبا دلامة، يعدّ هو الشـاعر المهرج، والضاحک المضحک،

وكان نموذج للشـعر الشـعبى، الذى يكتب عن الواقع، لأنّه كتب عـن حاله مع والديه وزوجته وابنته. فالشـاعر معروف فى الوسط الأدبى بأنّه من الشعراء الساخرين. وهذا القالب الذى وضع فيه شـعره اتخذه فيما بعد الشـاعر الكبير ابن الرومى حذواً يتبعه. (الشكعة، ١٩٩٧م: ٤١٣) فقد اشتهر الشاعر أبو دلامة بالنوادر والفكاهة وكثرت قصصه وحكاياتـه مع الخلفاء أبى العباس السـفاح وأبى جعفر المنصـور والمهدى. فـ«حينما ندخـل العصر العباسـى تتغير عقلية العصر فتتغير مظاهر الحياة، ويتطلّب ذلك شـكلاً آخر من اللغة وأسـلوباً جديداً من التعبير. لم يكن ذلك الشكل والأسلوب إلّا الفكاهة واسـتعمال طابع سـاخر فى الأدب.» (طالبى قره قشـلاقى والآخرون، ١٣٩١ش: ٣) أمّا بالنسـبة إلى هدف لجوء الشـاعر إلى هذا الفن (السّـخرية الكاريكاتيرية)، يمكننا القول إنّ التكسّب بالمال هو السبب الرئيس لهذا الأمر. ولكنّ أبا دلامة «لم يكن يتصيد العطاء مالا فحسب، ولكنّه كان يلب كلّ ما يحتاج إليه الإنسان، ولا يتورع عن السؤال وكشـف سـوء حاله فى ذلة وخضوع أمام خليفة أو أمير، أو أى فرد يحس حاجة إليه، وكان فى سبيل هذه الغاية يسخر حتّى من نفسه ومن أفراد أسرته.» (مصطفى، ١٩٧٠م: ١٥١) وإثارة الضحك والتخلص من المأزق هما سـببان آخران من أسـباب السخرية لدى الشاعر، فإنّ أبا دلامه اشتهر بفكاهته ونوادره فى زمنه. وهذا ما نجده فى أشعاره عامةً وشعر السخرية الذى تناولناه فى هذه الدراسة على وجه الخصوص. أمّا إذا أمعنا النظر فى زمن الشـاعر وحياته، نجد أنّه اختار هذا الوجه من أجل الخلاص من أثقال واقعه المرّ ووضعه البائس المفروض عليه فرضاً. «فهو فى حقيقته الماثلة للعيان لا يعدو كونه مجرد عبد وضيع ذى بشـرة سـوداء ونسـب غير معروف، وزاد على ذلك دمامة منظـره وفقره، ممّا جعله فى موقف لا يحسـد عليه، وكلّ ذلـك دفعه إلى أن يبحث عما يتميـز به، ويحببه إلى أفراد المجتمع.» (هلال، ٢٠١٨م: ١١٠) فقد غلب اللون السـاخر والفكـاهى على شـعر أبى دلامة الذى اسـتهدف به بعض خاصة الدولة، وترك آثاراً واضحة فى إبداعاته الشـعرية وتأخذ مساحة واسـعة من التشكيل الفنى عند الشاعر أبى دلامة. فيما يلى نشير إلى أهمّ ملامح وظواهر هذه السخرية فى ديوان الشاعر. وقد تنوعت مجالات السخرية وموضوعاتها فى أشعار أبى دلامة ويمكن أن نقسمها إلى ثلاثة

أقسام: السّــخرية الكاريكاتيرية من النفس، السّخرية الكاريكاتيرية من أفراد العائلة والسّخرية الكاريكاتيرية من الأشخاص الآخرين.

السّخرية الكاريكاتيرية من النفس

السّــخرية الكاريكاتيرية من النفس من أهمّ أنواع الســخرية فى أشعار أبى دلامة. فهو يســخر فى غير موضعٍ من أشــعاره من النفس ودور السخرية هنا يكمن فى خلق الاســتغراب لدى المتلّقى وذلک باستخدام ســخرية ذاتية لاذعة تجعله يستغرب الواقع المألوف الذى يعرفه. وقد عُرِف أبو دلامة باستخدام السخرية فى صوره الكاريكاتيرية لأجل التخلص من موقفٍ صعب، إذ يروى أنّ الخليفة المهدى أصرّ عليه أن يهجو أحداً ممن كان فى حضرته وإلاّ قتله أو قطع لســانه، وحاول الحضور مساعدته، فكلّما وقعت عينــه على واحد منهم غمزه بأنّ عليه إرضاءه، وفــى نهاية الأمر خضع لإرادة الخليفة وآثر أن يســخر من نفســه على أن يســخر من غيره درءاً للخطر، فجعل من نفسه قرداً وخنزيراً، (ر.ک: الأصفهانى، ١٠ / ٤٢٢) يقول:

أَلاَ أَبْلِــغْ لَدَيْکَ أَبَــا دُلاَمَهْ فَلَيسَ مِنَ الكِرامِ وَلا كَرَامَه
جَمَعْتَ دَمَامَــةً وجَمَعْتَ لُؤماً كَذَاکَ اللُّــؤْمُ تَتْبَعُهُ الدَّمَامَهْ
إذا لَبِــسَ العِمَامَةَ كانَ قِرْداً وَخِنْزِيراً إذا نَــزَعَ العِمَامَهْ

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٨٣)

قيل حينما دخل على المهدى وطلب منه أن يهجو واحداً ممن حوله وإلا قطع لسانه، فلم ير أحداً أحق بالهجاء من نفســه، لأن الموجودين جميعاً قد وصلوه بالعطاء. (المصدر نفسه، ١٠٩) فلم يجد مهرباً من هذا المأزق الحرج إلا أن يسخر من نفسه على أن يسخر من غيره. لذلک يلجأ إلى التهكم بالذات والســخرية والازدراء ويجعل من نفســه قرداً أو خنزيراً، جامعــاً إلى دمامته لؤماً وخبثــاً (جَــمَعْتَ دَمَامَةً وجَمَعْتَ لُؤماً). فقد اعتمد الشــاعر فى صنع المفارقة والسخرية على الصورة الحسية المحسوسة مجرّداً نفسه من أية صفة نبيلة تجعله فى مراتب الإنســان، جاعلاً منها أضحوكة للآخرين، ومحطّ سخريتهم. ولهذا وبقليل من التأمّل تجد أنّ الشــاعر يرى نفسَه قرداً فى حالة لبسه العامة وخنزيراً

فى حالة نزع العمامة عن رأسه. فاختيار لفظتى (قرداً وخنزيراً) وإطلاقهما على نفسه لها دلالة فى السخرية عن طريق تشبيهه بهذا الحيوانين. فهاتان الكلمتان تطرقان سمع المتلقّى بما لهما من دلالات السخرية والاستهزاء، فهو يستغرب أشدّ الاستغراب حين رأى بأنّ مرجع الضمير يعود إلى الشاعر نفسه. وعبارة (كَذَاكَ اللُّؤْمُ تَتْبَعُهُ الدَّمَامَهْ) جاءت مساندة لهذا الوصف الساخر. فقد شبّه الشاعر، فى تشبيه بليغ، هيئته بهيئة قردٍ فى القبح والبشاعة مساعداً مقدرته التصويرية. وإنّه قد عمد إلى حذف الأداة والوجة بهدف الإيحاء بالتماثل الكامل، والاتحاد بين المشبه والمشبهبه، فصوّر لنا القبيح الدميم فى صورة كاريكاتيرية ساخرة. و«هو نوع من التصوير التشبيهى البليغ، إذ إنّه جاء محذوف الأداة، وهذا أدعى فى توحّد طرفى الصورة التشبيهية، بل إنّ المشبه يرتقى إلى مصاف المشبهبه.» (عبدالله، ٢٠١٢م: ١٩٣-١٩٤) ولم يقف أبودلامة عند هذا الحدّ فى وصف نفسه ولم يكتف بهذا متجاوزاً إلى تشبيه نفسه بالخنزير لما تكون عليه من قبح المنظر. و«يحمل هذا التشكيل الشعرى الساخر حقية الشاعر المرّة الماثلة للعيان فقبح المنظر وسواد الوجه يحاصرانه ويعلنان للمجتمع انحطاطه وتدنيه، فضحك أبو دلامة ضحك نابع من نقصه وضعته.» (هلال، ٢٠١٨م: ٣٤٥) فهذه التشبيهات تلتحق بغاية أبى دلامة فى ترسيم هذه الكاريكاتورية المشوّهة. و«هكذا عاش أبو دلامة يسخر من نفسه ومن الناس، لا تفوته النادرة الحلوة، والدعابة اللطيفة واستطاع بأسلوب النديم الساخر أن يحجب نقائضه التى لم يكن يتورع عن المجاهرة بها، سواء أكانت فى خلقه أو فى خلقته.» (هدارة، ١٩٩٦م: ١٣١) وأيضاً هو يسخر من نفسه بمثل هذه الأبيات عندما طلب منه روح بن حاتم مبارزة أحد الخوارج (البراز):

إنّى أعوذُ بِرَوحٍ أن يقدمَنى ... إلَى البِرازِ فَتَخزَى بِى بَنو أسَدِ
إنَّ البِرازَ إلى الأقرانِ أعلَمُهُ ... مِمّا يفَرِّقُ بَينَ الرّوحِ والجَسَدِ
قَد حَالَفَتكَ المَنايا إذ صَمَدتَ لها ... وَأصبَحَت لِجَميعِ الخَلقِ بالرَّصَدِ
إنَّ المُهَلَّب حُبَّ المَوتِ أورَثَكُم ... وَمَا وَرِثتُ اختيارَ المَوتِ مِن أحَدِ
لَو أنَّ لِى مُهجَةٌ أخرى لَجُدتُ بها ... لِكنّها خُلِقَت فَرداً فَلَم أجِدِ

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٥٤-٥٦)

إنّ فكاهة هذه الأبيات ترجع إلى أنّه يسخر من نفسه، لا غيره كما هو شائع الاستخدام. فالدلالات فى هذه الأبيات توحى بعمق الجبن الذى شعر به الشاعر فى حالة إنشاد أشعاره. والغرض يرجع إلى رغبة الشاعر فى التخلص من هذا الموقف الصعب. لقد جعل أبودلامة فى هذه الأبيات هدفاً للسخرية والاستهزاء لنفسه، فهو قد بالغ فى الاستهزاء من النفس وهجائه من خلال تتبّع عيوبه والاسراف فى ذكرها للسخرية منه. نلاحظ سخرية واضحة فى هذه الأبيات حيث يتّخذ الشاعر من السخرية فى هذا الموقف وسيلة لإحجامه عن المبارزة والقتال. فهو جبان ونذل -كما هو واضح فى هذه الأبيات-، يفرّ من ساحة القتال خوفاً، عندما طلب منه روح بن حاتم مبارزة أحد الخوارج (البراز). فلا يجد أبودلامة بدأ من تخفيف حدة هذا الموقف البشع بإضفاء أسلوب السخرية اللاذع عليه. لهذا يطلب سلاحاً أمضى وتراه يهجو نفسه، لكى يخلص نفسه من الصعوبات التى تنتظره فى ساحة القتال. ونستطيع أن نقول «إنّ السخرية من النفس نوع من التعويض الذاتى الذى مارسه الشاعر، ولاسيما أنّه يفعل ذلک فى مجلس الخلافة والوزاراء، ليجعل من نفسه قيمة بين الملأ آنذاک.» (هلال، ٢٠١٨م: ٣٤٥) فأبو دلامة يحاول النجاح فى ميدان السخرية والصور الكاريكاتيرية لتعويض إخفاقه أو عجزه فى ميدان حياة الواقع، ولو كان ثمن هذا التعويض، الاستهانة والاستخفاف الذاتى وجعل النفس أضحوكة للآخرين، ومحطّ سخرياتهم.

السّخرية الكاريكاتيرية من أفراد العائلة

لم يكتف الشاعر أبو دلامة على السخرية من نفسه، بل هو يتجاوز الحدود ويكسر القيود فى سخرية أسرته، كأنّى بالشاعر مُساقٌ بقوة خارجية تُجبِرُهُ على السخرية والهجاء. فهو فى هذا النوع من السخرية يخرج عن الطبيعة المألوفة التى اعتادها النّاس، كما هو الحال فى السخرية من النفس. وأى سخر آلم للنفس وأوجع للقلب، من قول الشاعر الذى يسخر فيه ابنته الصغيرة:

بَلَتْ عَلَى -لا حُييتِ- ثوبى فَبالَ عليکِ شَيطانٌ رَجيمُ
فَما وَلَدَتکِ مَرْيمُ أمُّ عيسَى ولا رَبّاکِ لُقْمانُ الحَكيمُ

ولكن قــد ولدتِ لأم ســوء يقــوم بأمرهــا بعــلٌ لئيــم

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٧٦)

يروى أنّ أبا دلامة «ارتجل الأبيات عند حمل صبية له على كتفه فبالت عليه، فقالها علــى الفور.» (عبدالله، ٢٠١٢م: ١٩٣) وأبو دلامة فقد أطلق العنان لتخيلاته الشــريرة وهجــى فى هذه الأبيات ابنتــه هجاءً طريفًا بعدما بالت عليــه وهى صغيرة فى صورة كاريكاتيرية. فقد تخيل الشــاعر ابنته الصّغيرة شــيطانة، شــريرة، مخيفة بللت عليه فى ســخرية مرة لاذعة. وفى البيت الثانى يكمل صورته بهدف نفى الصفات الحســنة عن المهجــوة وإثبــات نقيضها لها، عبر هجاء أمّها وأبيها مســتهزئاً من تربيته وتربية زوجته لهذه الابنة الصغيرة. وبالتالى فهو يســخر منه بهذه الطريقة. أمّا أنّه فلا يتوقّف عند هذا الحدّ من سخرية أفراد الأسرة، فهو يسخر من والدته عبر هذا النقل التصويرى الساخر:

هاتِيكَ والِدَتــى عَجُوزٌ هِمَّةٌ مِثلُ البليةِ درعُها فى المِشجَبِ

مَهزُولَةُ اللَّحيينِ من يرَها يقُل أبصَرتُ غُولاً أو خَيالَ القُطرُبِ

مــا إن تَرَكتُ لها ولا لابنٍ لها مالاً يؤَمَّلُ غَــيَر بَكرٍ أجرَبِ

ودَجَائجاً خَمساً يرُحن إلَيهِمُ لَمَا يبِضنَ وغَــيَر عَيرٍ مُغرِبِ

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٣٣)

كما نلاحظ فى هذه الصورة، فالشــاعر يتجاوز حدود التأديب والعلاقات العائلية بدون أية تأشيرة ويرسم صورة كاريكاتيرية ساخرة لوالدته التى ترتعد وتلوح بذراعيه الواهنتين. ولا يعدم التشــبيه فى هذه المقطوعة، حتّى أحدث فيها رونقاً وبهاءاً، وعمقاً. فهو يجسّد شخصيتها من الناحية الخارجية الجسدية بشكل مبالَغ فيه بغية السخرية منها والحطّ من شأنها «وقد عمد إلى الجانب الحسى المثير للاشمئزاز؛ لأن غرضه من التشبيه كان تشــويه المشبه وتقبيحه من أجل لفت انتباه الخليفة إلى درجة الفقر والحرمان التى أدت إلــى أن تصــف والدته بالقبح إلــى هذا الحد، وهكذا توالت التشــبيهات فى هذه الأبيات على نحو مكثف فشــبهها بالبلية وهى الناقة التى كانت تعقل عند قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت.» (الغضنفرى و حمادى، ٢٠١٣م: ٤١) فالشاعر استعمل بعــض العيوب الخلقية فى شــخصية والدته ليجعلها أسماء ملصقة بهــا، أو كنية لها. فقد

قال هذا وكأنّه يسخر من العجور. فتارة شبّهها بالمشجب قائلاً إنّ هذه العجوز من شدة هزالها وضمور بطنها تضاهى مشـجباً يعلق عليه ما يريد من الملابس ونحوها، كأنّ الأم فقدت كلّ معالم الحياة، وأصبحت كتلة جامدة هامدة. فإنّ الشحوم قد ذابت ولا يبقى من الجسد سوى العظم والجلد. وعبر هذا التصوير، يرى المتلقّى والدةَ الشاعر فى حال من الضعف والهزال ليس وراها غاية فجانبا فمها مهزولان لدرجة تبلغ قلوبُ مشـاهدهما الحناجرَ من شـدة الفزع والخوف كأنّه يظنّ بأنّه صادف غولاً مخيفاً أو صغير من الجن. ففى هذا البيت أيضاً التصوير الكاريكاتورى السـاخر يعتمـد على المبالغة والغلو فى وصف المشاهد الحسية والتضخيم والتوغل فى التشبيه الحسى. وهذا التضخيم لا يحسنه إلا ذو الخيال الرحب الواسع من يحسن الرسم بالكلمات. فالشاعر عبر هذه التشبيهات يقـوّى المعنى ويؤكّد له. فقد اسـتطاع الشـاعر، عبر تفتح خياله، رهافة حسـه، صفاء عاطفته ونقاء عقله أن يحوّل كلامه من مجرد هجاء إلى رسم كاريكاتورى ساخر:

كَتبُـوا إلى صَحيفـةٌ مَطْبُوعَةٌ جعلوا عَلَيهَـا طينةٌ كالعَقربِ
فَعَلِمتُ أنَّ الشَّرَّ عِنْدَ فكَاكِها فَفَككتُها عَن مِثل ريحِ الجَوْرَبِ
وإذا شـبيهٌ بالأَفَاعى رُقِّشَتْ يوعِدْنَنِـى بِتَلَمـظٍ وتَثَـؤُّبِ
يشْكُون أنّ الجُوعَ أَهْلَكَ بَعْضَهُمْ لَزَبًـا فَهَلْ لَكَ فى عِيالٍ لُزَّبِ

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٢٥)

وهكذا يواصل الشـاعر صوره المفعمة بالسخرية باستخدام الفكاهة التى تصل إلى درجة السخرية اللاذعة. نرى بأنّ «الشاعر يرسم فيها صورة تشبيهية للرسالة التى كتبت إليه وقد ختمت بطابع من طين على هيئة العقرب مستخدماً أداة التشبيه الكاف لبساطة هذا الحرف موحياً عبر اسـتخدامه العقرب لمعنيين الأول مسـتلهم من كون العقرب هو أشدّ عداوة وأذى، والثانى هو اللون الأسود للعقرب وذلك أنّ السواد "مصدر للتشاؤم" لما يسـتكره ويتشـائم منه.» (الغضنفرى وحمادى، ٢٠١٣م: ٤٢) وهكذا، تستمرّ خيوط الصور الكاريكاتيرية وتتواصل، وتتواصل معها السـخرية بينَ ثناياها مخفية بين طياتها فى بعض الأحيان. فالمتلقى يشـاهد صورة مدهشـة من الهجاء، كأنّ علاقة الشاعر أبى دلامة مع أمّه تفتقر لأى إحسـاس ومحبة بينهما بحيث ينزلق الشـاعر إلى هذه الدرجة

من الكراهية. وعلى ضوء هذه الصور، يتّضح أنّ الصورة الكاريكاتيرية عند أبى دلامة من الأساليب البلاغية التى يجد الشاعر المجال الفسيح لكى يعبّر عما يختلج فى نفسه، ويقرّب المتّلقى إلى تصوير ما يريد من الأشياء بالصورة التى يطمح إليها.

والشاعر يبادر كلّما سنحت له الفرصة إلى السخرية كأنّها سلاح الشاعر الأمضى فى وجه الزمن القاسى. يقول واصفاً زوجته:

لَيسَ فِى بَيتِى لِتَمهيـ ـد فراشِى مِن قَعيدَه
غَيرُ عَجفاءَ عَجوزٍ سَاقُها مِثلُ القَديدَه
وَجهُها أقبَحُ مِن حُو تٍ طَرِى فِى عَصيدَه
ما حَياةً مَعَ أنثى مِثلَ عِرسى بِسَعيدَة

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٤٨-٤٩)

إنّ أبا دلامة فى هذه الأبيات الهجائية يقوم بهجاء زوجته ووصفها بأنّها عجوز هزيلة قبيح المنظر أقبح ما يكون فى العالم، لأنّ ساقها تضاهى القديدة، والقديدة هى لحم مجفّف، وجلد جاف غير مدبوغ. وهكذا تدور اهتمامات الشاعر فى إطار الحواس الظاهرة ورسم ملامح الشخصية بتسليط الأضواء على العيوب الجسمية الموجودة فى الزوجة. فهو وصف زوجته بأبشع الأوصاف والعبارات، وكانت سخريته من هذه المرأة، أكثر وضوحاً، وقسوة. وكل ذلک التصوير لسلوک هذه المرأة (زوجته)، من أجل أن تكون سخريته أبلغ، وألصق بها. إنّ اللافت للانتباه فى هذه الأبيات نرى هجاء التشويه والإضحاک بالاعتماد على هذه التصاوير الكاريكاتورية الساخرة المضحكة. فالشاعر يسلط الضوء على عيوب زوجته، فيبرزها أكثر للعيان. لهذا، فإنّ السخرية هى من أبرز الوسائل التى يستخدمها الشاعر لكى يعالج بها مثل هذه العيوب والنقائص فى الأفراد مؤكداً على العيوب الظاهرة والتشوهات الجسمية كالقبح فى الوجه والسمنة المفرطة أو العرج وغير ذلک من العيوب والتشوهات والظواهر السلبية، إذ أجود السخر أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية والخلقية ويركز على متناقضاتها فى شخصه. فهو يأتى بصورة مشوّهة الملامح رسمها لأمّ عياله، وأرسلها إلى زوجة الخليفة، وأخذ ثمنها مبلغاً من المال وجارية. فالسخرية هنا تكون لأجل التكسّب من أجل المال وابتغاء مرضاة الحاكم.

فبدت سخريته فى الكثير من مواضع النص تحمل غاية الارتزاق.

وأيضاً قوله ساخراً زوجته:

شَوْهَاءُ مشَنَّأَةٌ فِى بطْنِهَا ثَجَلُ وفِى المَفَاصِلِ من أوصَالِهَا فَدَع

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٦٩)

يهجو الشاعر زوجتها يصفها بالقبح وبشاعة المنظر (شوهاء) إمعاناً فى سخريته منها. ويرسم جسدها فى هذا المشهد الحسى بوضوح وصراحة لا مزيدَ عليها. يقول الشاعر بأنّ زوجته قبيح المظهر والهيئة وهى كثير الأكل وعظيم البطن، للدلالة على عدم قناعتها وجاء وصف الثجل أى عظيم البطن، لشدة ضخامته وكبر حجمه، فهو سخرية من تورم بطنه وضخامته. ومفاصلها فقد أصيبت بالتهاب والإعوجاج والشلل ولا تستطيع الجلوس أو الوقوف إلا بصعوبة. والمتمعن فى هذه العبارات نرى ما فيها من تشويه وتكبير للعيوب الجسمية. فهذه العبارات الساخرة ما هى إلا إمعان فى السخرية. والمناداة بالألقاب من أقدم صور السخرية وأنواعها، ولها وقع كبير فى النفوس، وقوة عظيمة فى التأثير. فالشاعر يضعنا أمام صورة تصل فى سخريتها إلى حدّ كبير، لأنّه يروم عبر هذه الصورة، تسكين صورة زوجته وترسيخه فى ذهن المخاطب. هذه الصور الكاريكاتيرية كلّها بهدف واحد وهو التكسّب فقط. لهذا، نرى أبا دلامة ينتقى ألفاظه انتقاء فنّان موهوب لخطوطه وألوانه.

السّخرية الكاريكاتيرية من الأشخاص الآخرين

يقول ساخراً لوعود على بن صالح، وقد كان وعدُه شيئاً ولم يوفِ له بِه:

لعلى بنِ صالحِ بنِ على حَسَبٌ لو يعينُهُ بسَمَاحِ

ومواعيدُهُ الرِّياحُ فهل أنـ ـتَ بِكَفَّيكَ قابضٌ للرِّياحِ

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٤٣)

فالمراد من «مواعيده الرياح: أى مواعيده كاذبة.» (ابن المعتز، ١٩٩٨: ٨٥) يقول الشاعر إنّ على بن صالح كعادته لم يفى بوعده بل لم يتذكره، كما الرياح لا تلتزم بالمواعيد فى مرورها على بعض الأماكن. فالقابض على الماء هو مثل «يضرب لمن ليس بيده

شـــيء ممّا أخذ،» (جميعان، ١٩٩٩م: ١١٢) يعنى أنّه ما حصل على شيء. ولكنّ الشاعر جـــاء بتعبـــير آخر وهو «قابضٌ للرِّيـــاحِ» لتعبير على نفس المعنـــى لكى يكون صورته الكاريكاتيريـــة أشـــدّ جمالاً ووقعاً فى نفس المتلقى، وهو تعبـــير بديع. يضاف إلى ذلك مقدرة وبراعة الشاعر فى إكســـاء الصورة القديمة أثوابة جديدة. فالشاعر يرسم لوحته الشعرية بهذا التفنّن التصويرى ويهجو على بن صالح قائلاً بأنّه حينما يذهب إليه يرجع بخفى حنين أى أنّه لم ينل حوائجها. فمواعيد صالح تتحقق إذا ما قبضت الريح. وهذا ما يجعل سخرية أبى دلامة أكثر إمعانًا، وأشد إضحاكًا فى هذا المشهد. فهو من خلال تصويره الســـاخر يرســـم للقارىء مواعيـــد المهجو الباطلة المضللة.وهذا المشـــهد يجسّـــد حالة الإحباط الشـــديد عند الشـــاعر، لأنّ المهجو لم يجزل له العطاء. ولعلّ فى قوله «قابضٌ للرِّياحِ» إشارة دالّة على أنّ لشحة المال وقلته أثر واضح على الشاعر.

وأيضاً قوله:

أرَى الشَّهْبَاءَ تَعْجُنُ إذْ غَدَوْنَا بِرِجلَيهَـــا وَتَخْبِـــزُ باليمِـــينِ

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٧٢)

هذه المقدرة والبراعة فى التصوير أشاد بها عبدالقاهر الجرجانى قائلاً بأنّ أبا دلامة يشـــبه حركة رجليها بحركة العاجن فى عدم الاســـتقرار كذلك رجلاها لا يثبتان على الأرض، بل تندفعان إلى الأمام كما يدا العاجن لا يثبتان فى أثناء العجن، بل تندفعان لرخاوة العجين إلى الأمام، ثم شبه حركة يديها وهما لا يتقدمان إلى الأمام، بل ينثنيان إلى الخلف نحو بطنها فى تقوس واعوجاج، مثل حركة يد الخابز، من حيث كان الخابز يثنـــى يده نحو بطنه ويحدث فيها ضرباً من التقويس، كما تجد فى يد الدابة إذا اضطربت فى سيرها، ولم تقف على ضبط يديها، ولن ترمى بها إلى قُدام، ولن تشد اعتمادها، حتى تثبـــت فى الموضع الذى تقع عليه فلا تزول عنـــه ولا تنثنى. (أنظر: الجرجانى، ١٩٣٩م: ٣٨٢-٣٨٣) فالشـــاعر يرســـم لنا لوحته الشعرية بتناســـق الخطوط، لوحة تنطق بذوقه الســـليم فى إطار الحواس الظاهرة. ونستشـــف من دلالة هذه الأبيات الساخرة مقدرة الشـــاعر الإبداعية وبراعته الفنية فى اســـتخدام أدوات السخرية، وما يمتاز به من قوة العاطفـــة والتفكير ومديد الخيال والتخييل، وعميق التصوّر والتصوير.والشـــاعر لم يقف

عند هذا الحدّ، بل يلجأ إلى الرسم الكاريكاتورى المضحک للزى الجديد الذى أمر به المنصور أصحابه بلبسه فقال:

وكُنَّا نُرَجِّى مِنْ إمامٍ زيادَةً فَزَادَ الإمامُ المُصْطَفَى فى القلانِسِ
تَرَاهَا عَلَى هَامِ الرّجَالِ كأنَّها دِنانُ يهُودٍ جُلِّلَتْ بالبَرانسِ

(أبودلامة، ١٩٩٤م: ٥٧)

روى أنّ المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد والقلانس الطوال، تدعم بعيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق، ويكتبوا على ظهورهم: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ فلمّا دخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى، قال له المنصور: ما حالک؟ قال: شر حال يا أمير المؤمنين، وجهى فى نصفى، وسيفى فى استى، وقد صبغت بالسواد ثيابى ونبذت كتاب الله وراء ظهرى، ثم أنشد البيتين. فضحک منه المنصور وأعفاه وحذره من ذلک، وقال: إياک أن يسمع هذا منک أحد. (الأصفهانى، ١٠ / ٣٨٤) فإنّ أبا دلامة فى هذا المشهد «شبّه لبسه ولبس أصحاب المنصور بدنان اليهود وهى الرواقيد على هيئة الحب أطول مستوى وأسفله على هيئة قوس بيضه، وجللت بالجبة الطويلة فعمد إلى تشبيه محسوس بمحسوس مستخدماً أداة التشبيه كأن التى أفادت التوكيد.» (الغضنفرى وحمادى، ٢٠١٣م: ٤٣) فالتشبيه فى هذه المقطوعة إلى مرتبة جيدة للسخرية والاستهزاء.

والملاحظ فى صور أبى دلامة الساخرة يرى مقدرتها السحرية على السخرية والتهكم وإثارة الضحک. فهو يعتمد على إبراز صورٍ تبالغ فيها بكلّ ما تتسع له الوسائل، فبلغت السخرية والفكاهة مداهما عند أبى دلامة. وبذلک أصبحت صوره الكاريكاتيرية تحمل فى طياتها، إلى جانب دلالاتها، خطاباً ساخراً ومستهزئاً لاذعاً مفعماً بالصور البيانية. فقد تنوعت استخدامات السخرية والاستهزاء فى أشعار أبى دلامة، ووُظفت توظيفًا متناسباً ملائماً، وجاءت فى أقنعة وصور مختلفة، فقد جاءت فى أكثر الأوقات فى شكل سخرية لفظية، استخدمت من خلالها اللغة لدعم أفكار الشاعر. كما استخدمت السخرية الصورية، التى تتعلق بالشكل المحسوس والمادى للشخصيات وإبرازها فى صورة مشوهة منكرة. فهو يصوّر الأشخاص تصويراً سخرياً

مضحكاً فى صورة كاريكاتيرية هزلية تبالغ فى تجسيم العيوب الجسمية من خلال إبراز النقائص والهنات والانحرافات. وهذا هو أكبر مساحة ممكنة للسخرية اللاذعة والصور الكاريكاتيرية فى شعر أبى دلامة.

النتيجة

تجسّـد أشـعار أبى دلامة لوناً متميزاً من ألوان الصورة الكاريكاتيرية، وتستند إلى مبـادئ جمالية فى رؤية العلاقة بين الأدب والرسـم. أبو دلامـة حاول أن يخلق صوراً كاريكاتيرية بديعة بمسـاعدة إطالة بعض أجزاء الصورة وتضخيمها فى بعض الأحيان وفى بعض آخر مسخها. فالشاعر يستخدم تارةً سخرية الرسم وتارةً يستمدّ من الكلام لتشـكيل شـكل بديع من أشكال السّـخرية الكاريكاتيرية و بهذا، خلق أبو دلامة من السّـخرية الكاريكاتيرية فناً يختص به. فهذه الآليات والرسوم تتواشج بشكل جيد فى تشكيل صور كاريكاتيرية ساخرة عند أبى دلامة. لقد أصبح هذا النمط، فى شعره، إلى جانب الفكاهة والظرف، آليةً دفاعيةً يسـتغلّها الشـاعر لمواجهة النقائض الموجودة فى نفسـه من الفقر والحرمان حتّى ولو تجاوز الخطوط الحمراء فى وصف الأسرة والعائلة. هذه السـخريات اللاذعة كانت إفرازاً لنفسية عابثة، تحاول التكسّب بالمال. والطمع فى المال داءٌ عضالٌ يخرّب أفكار أبى الدلامة فى بعض الأحيان ويسوقه إلى الهجاء. فهو لا يدّخر وسـيلةً من وسائل التكسّب إلّا ويجرّبها. فإنّ هذا الشعور المتأزم بالفقر المحيط به عند الشـاعر يكون لديه إحساساً بالدونية، لذلک هو يريد دوماً التخفيف ممّا يعانيه من هذا الإحسـاس. فالفقر سـلب منه كلّ الشىء، حتّى الأمل فى الغد. وهذه الحال، تجعل الشـاعر برغبة هجاء نفسـه وهجاء الآخرين معه فى الإنتاج الكاريكاتيرى الساخر، بحيث يمكن تأويلها على أنّها صرخة عميقة تقدّمها الشـاعر ضدّ هذا الوضع المأسـاوى الموجود. فإنّ اللجوء إلى هذا الشكل من البيان جاء نوعاً من الهروب الكامل من هذه الأحاسيس. فهو يرى السخرية الكاريكاتيرية ملاذاً للوصول إلى حياة جديدة. لذلک، تحتشد أشعار الشاعر بمشـاهد ساخرة تقوم على الفكاهة والطرافة والتهكّم، ويمكن أن نقسـمها إلى ثلاثة أقسام: السّخرية الكاريكاتيرية من النفس، السّخرية الكاريكاتيرية

من أفراد العائلة والسّخرية الكاريكاتيرية من الأشخاص الآخرين.

المصادر والمراجع

ابن المعتز، عبدالله. (١٩٩٨م) طبقات الشعراء المحدثين. بيروت: دار الأرقم للنشر والطباعة والتوزيع.

أبودلامة، زنْد بن الجُون. (١٩٩٤م). ديوان أبى دُلامة. شرح وتحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع.

الأصفهانى، أبوالفرج. (١٩٩٤م) الأغانى. ط ٢٤. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

آل زايد، يحيى عمر. (٢٠١٢م). الفن الساخر ـ الكاريكاتير ـ الفن الناقد ـ عناصر الكاريكاتير ـ الفكر التعبيرى. القاهرة: منتدى المقالات الادبية والمكتبة الأدبية المتكاملة.

الجرجانى، عبدالقاهر. (١٩٣٩م). أسرار البلاغة. القاهرة: دار المعارف.

جميعان، محمّد سلام. (١٩٩٩م). المثل فى الشعر العربى. الشارقة: دار الخليج.

دريباتى، آصف. (٢٠١٦م). السخرية فى شعر نديم محمّد. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشكعة، مصطفى. (١٩٩٧م). رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية. بيروت: الدار المصرية اللبنانية.

الضمور، نزار عبدالله خليل. (٢٠١٠م). السخرية والفكاهة فى النثر العبّاسى، عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع.

طالبى قره قشلاقى، جمال والآخرون. (١٣٩١ش). «السخرية السياسية فى شعر دعبل الخزاعى». مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها. فصلية محكمة. العدد ٢٥. صص ٢٢-١.

الطوبجى، حسين حمدى. (١٩٨٧م). وسائل الاتصال والتكنولوجيا فى التعليم، الطبعة الثامنة. الكويت: دار القلم.

عبدالله، أميرة محمود. (٢٠١٢م). «السخرية فى شعر أبى دلامة». مجلة العلوم الإنسانية. كلية التربية. صفى الدين الحلى. صص ٢٠٣- ١٨٨.

عبدالتواب، أحمد. (٢٠١٨م). الكاريكاتير السياسى. القاهرة: مجموعة النيل العربية.

العجلانى، شمس الدين. (٢٠١٣م). الكاريكاتير .. الفن الذى لا مثيل له، لبنان: منتديات ستار تايمز.

الغضنفرى، منتصر عبدالقادر وزهراء ميسر حمادى. (٢٠١٣م). «الفكاهة والسخرية فى شعر أبى دلامة- قراءة فى الصورة البيانية». مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل. صص ٥١- ٣٠

مروة، محمّد رضا. (١٩٩٠م). أبوتمام، عصره-حياته-شعره. بيروت: دار الكتب العلمية.

مصاروه، نادر. (٢٠٠٨م). شعر العميان. بيروت: دار الكتب العلمية.

مصطفى، محمّد. (١٩٧٠م). دراسات فى الشعر العربى: تحليل لظواهر أدبية وشعراء. القاهرة: منشأة المعارف.

النورج، حمدى. (٢٠١٥م). السـخرية واللقطة السـحرية: دراسـة نقدية لأعمال الكاتب عمر طاهر. القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى.
هدارة، محمد مصطفى. (١٩٦٦م). «أبو دلامة». القاهرة: مجلة العربى. صص ١٥٣-١٣٠.
هلال، شافية. (٢٠١٨م). شعر العبيد من الجاهلية حتّى نهاية العصر العبّاسى، دراسة فى الرؤية والفن. بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه العلوم فى الأدب العربى. قسنطينة: جامعة الإخوة منتورى.